International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

الثنائيات الضدية في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران

اردهان حسن الحسن، جامعة الوصل، دبي، الإمارات العربية المتحدة

تاريخ استلام البحث: 2024/10/25 **تاريخ نشر البحث: 2024/11/26** **المجلد: 6** **العدد: 1**

الملخص:
يتناول هذا البحث الثنائية الضدية في قصيدة "المواكب" للشاعر اللبناني جبران خليل جبران. يقوم البحث بتحليل المباحث المتعلقة بالثنائيات في القصيدة، وتوضيح التناقضات والتضادات التي تظهر بينها. يتناول البحث الثنائيات الضدية التالية: الخير والشر، الفرح والحزن، العدل و الظلم, الحياة و الموت,الحرية و العبودية. فيما يخص الخير والشر، يبرز البحث كيف تصور جبران الخير والشر كقوتين متنافستين، حيث يظهر الخير في عناصر النقاء والصدق والإيجابية، بينما يتجلى الشر في عناصر الظلم والفساد والسلبية. أما بالنسبة للفرح والحزن، فإن البحث يستعرض كيف يعبر الشاعر عن تضادات هاتين المشاعر، حيث يجسد الفرح بالأمل والسعادة والنجاح، بينما يتجلى الحزن باليأس والكآبة والفشل. أخيراً, القوة والضعف، يوضح البحث كيف يتناول جبران المفهومين بصورة متناقضة، حيث يمثل القوة الصمود والإرادة والقدرة على التغلب على الصعاب، بينما يعبر الضعف عن الهشاشة والانكسار والعجز. بهذا، يسلط البحث الضوء على تعقيدات الثنائية الضدية في قصيدة "المواكب"، وكيف تعكس هذه التناقضات الجوانب المختلفة من الحياة والإنسانية التي يتناولها جبران في قصيدته.

الكلمات المفتاحية: المواكب, جبران خليل جبران, الثنائيات الضدية, الحياة و الموت, الحزن و الفرح , الخير و الشر

The Duality of Opposites in Gibran Khalil Gibran's poem "The Processions"

ARDAHAN HASSAN ALHASSAN, ALWASL UNIVERSITY
Corresponding author: ARDAHAN HASSAN ALHASSAN **Email**: ardhan1990sy@icloud.com

RECIEVED: 25 October 2024 **PUBLISHED:** 26 November 2024 **DOI:** 10.32996/ijalls.2024.6.1.9

Abstract
This research examines the duality of opposites in Gibran Khalil Gibran's poem "The Processions". It analyzes the dichotomies present in the poem and elucidates the contradictions and contrasts between them. The research delves into the dualities of Good and evil, joy and sorrow, justice and injustice, life and death, freedom and slavery. Regarding goodness and evil, the research highlights how Gibran envisions goodness and evil as competing forces, with goodness manifested in elements of purity, sincerity, and positivity, while evil manifests in elements of injustice, corruption, and negativity. As for joy and sorrow, the research reviews how the poet expresses the contrasts between these two emotions, portraying joy with hope, happiness, and success, while sorrow is depicted with despair, melancholy, and failure. Finally, in terms of strength and weakness, the research elucidates how Gibran addresses these concepts in a contradictory manner, with strength representing resilience, willpower, and the ability to overcome obstacles, while weakness symbolizes fragility, defeat, and incapacity. Thus, the research sheds light on the complexities of the duality of opposites in the poem "The Processions", demonstrating how these contradictions reflect the different aspects of life and humanity that Gibran addresses in his poem

Keywords: Processions, Gibran Khalil Gibran, opposite dualities, life and death, sadness and joy, good and evil

المقدمة :

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، وجعل أمتنا خير أمة ، وبعث فينا رسولًا منا يتلو علينا آياته و يزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, شهادة تكون لمن اعتصم بها خير ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله للعالمين ، وفرض علينا بيان ما أُنزل إلينا ، وخصه بجوامع الكلم ، وفصل الخطاب وكانت أقواله "صلى الله عليه وسلم "نصوصًا رائعة في البلاغة وفي بيان الدين .

أما بعد :

تعد قصيدة " المواكب " لجبران خليل جبران واحدة من أبرز مؤلفاته الأدبية التي تتميز بالغنى والعمق الفلسفي . في هذا العمل يستخدم جبران الثنائية الضدية بشكل متقن. ليعكس التناقضات الحياتية والروحية التي تحدث في حياة الإنسان . حاكت قصيدة " المواكب "لجبران روحه وحاول أن يصل إلى صميم الحياة ويستخرج منها فلسفة استوحاها من عالمه الخاص ومن تجاربه ومن معاناته العميقة ، بعد إصغائه المرهف إلى المعرفة الإنسانية ، وتنصته إلى قلبه وما فيه من خصوبة وجموح في الخيال ، لتدلنا على ما كابد من عذابات كاد يختنق تحت كوابيسها . يتناول جبران مجموعة من المواضيع المتنوعة مثل المفاهيم الفلسفية ، الظواهر الطبيعية ، والعلاقات الإنسانية ، ويعبر عنها من خلال الثنائية الضدية .

تعتبر قصيدة "المواكب" موسوعة أدبية تنسجم فيها الكلمات والمفاهيم الفلسفية ببناء فني هادف. سنحاول في هذا البحث استكشاف الثنائية الضدية التي تتجلى في هذه القصيدة، وسنستخدم المنهج البنيوي, اذ نستكشف للوصول إلى تحليل شامل لهذه العناصر. تهدف هذه الدراسة إلى فهم وتحليل الثنائية الضدية الموجودة في "المواكب" وفهم الرسائل والمعاني التي يحملها كل منها. وقد تم تقسيم البحث إلى خطة تتضمن مقدمة و تمهيد يشمل توضيح المفاهيم الأساسية لبحث. بعد ذلك المباحث المتعلقة بالثنائيات الضدية الواردة في النص و هي: ثنائية الحياة و الموت، ثنائية الخير و الشر، ثنائية الحرية و العبودية، ثنائية الرضا و السخط ،ثنائية العلم و الجهل ،ثنائية الظلم والعدل.

و الصوت ، وثنائية القوة و الضعف ،وثنائية الفرح و الحزن.

يليها ذكر الصعوبات التي واجهتنا خلال البحث، ثم نذكر النتائج و تليها الخاتمة

و المراجع المستخدمة في البحث. و سنأخذ في هذه الدراسة في الاعتبار المفاهيم والمصطلحات الرئيسية المتعلقة بالثنائيات في "المواكب" لجبران خليل . ستتم مراجعة البحوث السابقة والنقد الأدبي المتعلق بالعناوين المذكورة لتوفير إطار نظري قوي للدراسة.

من خلال استخدام المنهج البنيوي، سنكشف عن التفاعلات الديناميكية والمترابطة بين عناصر بناء القصيدة والفلسفة التي تحملها. سنحلل وظائف كل تضاد وندرس تأثيرها على البنية الكلية للقصيدة، مما يساهم في تعمق فهمنا لهذا العمل الأدبي الراقي ورؤيته الفلسفية العميقة.

من المتوقع أن تساهم هذه الدراسة في فهم أعمق للتضادات والتناقضات المتواجدة في "المواكب" وتسليط الضوء على الرسائل الفلسفية والروحية التي ينقلها جبران من خلال استخدامه للثنائيات. قد تساعد النتائج والتحليلات في توسيع المعرفة الفلسفية والأدبية وتطوير فهمنا للإنسانية والتجارب الحياتية.

أولاً: مشكلة البحث:

تتميز قصيدة "الثنائية الضدية في المواكب" بثرائها في توظيف مختلف أشكال التناقض والتضاد الفكري والمعنوي والحسي، مما جعلها تُعد من أهم نماذج الشعر الفلسفي عند جبران.

وتُثار إشكالية هذه الدراسة في محاولة تحليل وتفسير مختلف أشكال التضاد التي وظفها الشاعر، ومدى ارتباطها بأفكاره الفلسفية وأبرز محاور فكره الإنساني والجمالي والوجودي.

أي يمكن صياغة مشكلة البحث كالآتي:

"دراسة أشكال التضاد في قصيدة ثنائيات المواكب ومدى ارتباطها بالأبعاد الفكرية والفلسفية المختلفة عند جبران خليل جبران".

ثانيا أسئلة البحث:

<u>السؤال الرئيسي:</u> ما أشكال الثنائيات الضدية و دلالاتها ودلالات التضاد التي وظفها جبران في قصيدة "ثنائيات المواكب"، وما علاقتها برؤاه وأفكاره الفلسفية؟

<u>الأسئلة الفرعية:</u>

1. ما أبرز ثنائيات وتضادات المفاهيم والظواهر والمشاعر التي تناولها الشاعر في القصيدة؟

2. كيف استطاع جبران من خلال هذه التضادات صياغة رؤيته الخاصة للكون والوجود والإنسان؟

3. ما الأسس والمصادر الفكرية والفلسفية التي اعتمد عليها جبران في توظيفه لتقنية المفارقات والتناقضات في هذه القصيدة؟

وسيتم التركيز على تحليل أبرز مظاهر التضاد التي وظفها الشاعر في القصيدة، مع الربط بينها وبين فكره ورؤيته الفلسفية بشكل عام.

ثالثاً: أهمية البحث:

تسليط الضوء على أحد أشهر قصائد جبران الشعرية، والتي تعد نموذجًا رائعًا للشعر الفلسفي.و تحليل البنية الفنية والجمالية للقصيدة من خلال التركيز على بنية التضاد التي اتخذها جبران أسلوبًا أساسيًا في التعبير. و كذلك فهم الرؤى والأفكار الفلسفية العميقة التي تناولها جبران من خلال هذه القصيدة لمحاولة إبراز التفاعل الديناميكي بين الأضداد وكيفية انعكاس ذلك على البناء الشعري المتماسك للقصيدة و نستطيع الكشف عن مقدرة جبران الفائقة في صياغة التجربة الإنسانية الكونية من خلال لغة شعرية راقية.

رابعاً: أهداف البحث:

تحليل مختلف ثنائيات وأشكال التضاد الموظفة في القصيدة على المستويين الفكري والجمالي. و محاولة الكشف عن الرؤى الفلسفية ومنظومة القيم الإنسانية التي تعكسها هذه التضادات في فكر جبران ورؤيته. و تسليط الضوء على براعة جبران وتميزه في تشكيل بنية شعرية متماسكة تقوم على جماليات التضاد والتناقض. لفهم تحليل دلالات ورمزية التضادات المختلفة وعلاقتها بالسياق الكلي للقصيدة.و كذلك الربط بين أشكال التضاد المستخدمة بالتجربة الحياتية والفكرية والوجدانية للشاعر جبران.و الوقوف على أهم مصادر تأثر جبران في توظيفه لجماليات التضاد، وخصوصاً الفلسفة الصينية.

خامساً: الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات قد يتقاطع جزء منها مع هذه الدراسة:

دراسة (1):

دراسة بعنوان "جماليات التضاد في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران"، أجرتها الباحثة آمال إبراهيم مصطفى ونُشرت في مجلة كلية الآداب بجامعة بورسعيد في يناير 2018.

اعتمدت الباحثة على المنهج البنيوي التحليلي , من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي أن التضادات في "المواكب" لا تعزز الجمالية الأدبية فحسب، بل تُعمق أيضًا من فهم القارئ للرسائل الفلسفية والروحية التي يرغب جبران في نقلها، مؤكدةً على أهمية التضاد كأداة فنية وفكرية في الأدب.

دراسة (2) :

دراسة بعنوان "تضادات المفاهيم والظواهر في قصيدة "المواكب" لجبران خليل جبرانه" للباحثة نورا أحمد، نشرت في مجلة الأدب والفلسفة عام 2021، تحلل بشكل شامل التضادات المتواجدة في القصيدة وتفسر الرموز والمعاني التي تحملها.

يتم استعراض المنهج البنيوي كأداة تحليلية رئيسية لفهم تلك التضادات والعلاقات الداخلية في القصيدة.

و الخاتمة تلخص النتائج المستنتجة من التحليل وتسلط الضوء على أهمية دراسة التضادات في قصيدة "المواكب" وتأثيرها على فهمنا لفلسفة جبرانه. تشير الباحثة أيضًا إلى أهمية استكشاف المزيد من الدراسات حول هذا الموضوع لفهم أبعاد أعمق للقصيدة وتحليلها بأساليب ومناهج مختلفة.

دراسة (3):

في الدراسة الموسومة "الترابط النصي في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران (دراسة أسلوبية)" التي أعدها الباحث في يونيو 2020 ونُشرت في مجلة علمية متخصصة.

اعتمد الباحث على المنهجية الأسلوبية لتقديم فهم أعمق للتقنيات الأدبية المستخدمة. من أبرز نتائج الدراسة هي التأكيد على أن التضادات في "المواكب" تسهم في خلق تجربة قرائية متعددة الأبعاد، حيث تُظهر كيف يمكن للتضادات أن تعزز من تماسك النص وتعمق من تأثيره الجمالي والفكري على القارئ .

ما يميز البحث :

يتميز بالتركيز الخاص على الثنائية الضدية ، واستخدام إطار نقدي مبتكر وأدوات تحليلة متقدمة ، واستفادة من المصادر والمراجع الحديثة ، وتقديم رؤية متعددة الأبعاد للقصيدة . هذه الميزات قد تميز الدراسة عن الدراسات السابقة وتساهم في إثراء المعرفة والفهم حول الثنائيات الضدية الموجودة في قصيدة " المواكب " لجبران خليل جبران.

سادساً: منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج البنيوي القائم على دراسة العلاقات الداخلية داخل النص الأدبي وتحليل عناصره المكونة لبنائه الفني. حيث سيتم تحليل قصيدة " المواكب" بوصفها بناء فنياً متكاملاً، من خلال التركيز على بنية التضاد التي يقوم عليها هذا البناء، وسيتضمن ذلك:

• دراسة أشكال التضاد المختلفة داخل القصيدة وعلاقاتها الداخلية فيما بينها.

• تحليل وظائف كل تضاد وأثره في البنية الكلية والدلالات.

• ربط التضادات المختلفة ببعضها للكشف عن الرؤية الفلسفية الشاملة للشاعر.

• تفسير كيفية ترابط وتماسك عناصر البناء الفني عبر هذه التضادات.

بهذا سيتمكن البحث من خلال المنهج البنيوي من كشف التفاعلات الديناميكية والعميقة بين مكونات بناء القصيدة وما تحمله من دلالات ورؤى فكرية.

سابعاً: خطة البحث:

وقد تم تقسيم البحث إلى خطة تتضمن مقدمة , و تمهيد يشمل توضيح المفاهيم الأساسية لبحث.

بعد ذلك المباحث المتعلقة بالثنائيات الضدية الواردة في النص و هي:

- ثنائية الحياة و الموت.
- ثنائية الخير و الشر.
- ثنائية الحرية و العبودية.
- ثنائية الرضا و السخط
- ثنائية العلم و الجهل
- ثنائية الظلم و العدل.
- ثنائية القوة و الضعف.
- ثنائية الفرح و الحزن

الصعوبات التي واجهتني كباحثة :

واجهتني كباحثة تحديات في جمع البينات المطلوبة للدراسة نتيجة لعدة عوامل علمية. قد تواجه ، وهناك صعوبات ميدانية تتعلق بالوصول إلى العينات المطلوبة .

هذه العوامل العلمية تشكل تحديات حقيقية يجب علي مواجهتها وتحديدها بدقة في سياق الدراسة العلمية .

1- التمهيد:

2- تعريفات أولية:

2.1 أولاً: تعريف المنهج البنيوي:

تدخل الثنائيات الضدية ضمن المنهج البنيوي وتعتبر واحدة من مستوياته، وهذا المنهج من المناهج الحديثة التي ظهرت في القرن التاسع عشر، لذا سنبدأ بنبذة بسيطة عن كل من المنهج البنيوي والثنائيات الضدية.

- المنهج البنيوي لغةً و اصطلاحاً:

- التعريف اللغوي:

مصطلح (المنهج البنيوي) عبارة عن جملة مكونة من شقين (منهج) و(بنية)، ولفهم المصطلح بشكل صحيح يجب معرفة معنى كل كلمة في حالتها الوضعية في المعاجم، فالمنهج يعني كما ورد في لسان العرب: "منهج من نهج: أبان ووضح، وفلان يستنهج سبيل فلان : أي يسلك مسلكه, و النهج : الطريق المستقيم[1].أما البنيوي فقد ورد في لسان العرب :" بنى: نقيض الهدم"[2], اذاً يتبين أنه يعنى الطريقة التي يسير عليها البناء (بناء النص).

- التعريف الاصطلاحي:

جاءت لفظة (البنيوية) من البنية و التي ذكر معناها سابقاً , و بناء على ذلك تم تعريف البنيوية :" الكيفية التي تنتظم بها عناصر مجموعة ما: أي أنها تعني مجموعة من العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر فهي مجموع العلاقات الداخلية الثابتة التي تميز مجموعة ما[3], إذا فإن هذا المنهج يعمد إلى فكرة أن النص عبارة عن بناء متماسك يمكن تجزئته, لكن لا يمكن فصله. و أن النص تؤدي العناصر المكونة لهذا هدفاً واحداً, و بالتالي فإن هذا المنهج يركز على النص بعيداً عن أي عوامل أخرى خارجية.

-الثنائيات الضدية:

[1] ابن منظور : لسان العرب- القاهرة – دارالمعارف- مادة ن ه ج – ص 4554
[2] مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز- القاهرة- دار التحرير للطبع و النشر – 1989م – ص 636
[3] د.إبراهيم العوض: النقد العربي الحديث- القاهرة-مكتبة زهراء الشرق-2003م-ص217.

يرى البعض أن معنى الثنائيات الضدية موجود منذ القدم في كتب البلاغة لكن تحت مسميات مختلفة (الطباق والمقابلة) ويكون في اللفظ أو في المعنى، ويزيد من قوة المعنى المرغوب عن طريق طباق السلب أو الإيجاب[4] إلا أن المصطلح المستخدم هنا هو مصطلح فلسفي حديث استخدم في النقد، وكون هذه الكلمة مكونة من شقين فالأجدر أن يتم ذكر معنى كل شق كما ورد في اللغة، بدء ا من معنى الثنائية" :الثنائي من الأشياء :ما كان ذا شقين[5] ,ثم الضدية فتعني: "الضد: المخالف والمنافي، والضدان: اللذان لا يجتمعان مثل الأبيض والأسود [6]، أما المعنى الاصطلاحي في المنظور الفلسفي فهو: "القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، كثنائية الأضداد وتعاقبها[7] ، تقوم هذه الثنائية على فكرة فلسفية تقول إن هناك إمكانية للربط بين الظواهر التي يبدو أنها منفصلة فالتضاد رابطة لا تختلف عن التماثل، إذا اجتمع الضدان يكون أثرهما في النفس أقوى وأوضح، ويجدر التنبه إلى أن التضاد معناه يختلف عن التناقض؛ إذ إن الأخير يعني نفي إحدى الحالتين ، أما مثلاً الأسود والأبيض لا يزيل أحدهما الآخر تماماً، فالظلام نقيض النور في حالة النور يختفي الظلام ، كذلك الأمر بالنسبة إلى الحالات النفسية التي إن جاءت متضادة أدت إلى إيضاح المعنى ،ولا تستخدم هذه القضية في البحث عبر الألفاظ فقط بل يتخطاها أيضاً إلى الرموز [8]، تصب كل المفاهيم النقدية القديمة والحديثة في خدمة النص الأدبي، وتتداخل العلوم لتحقيق هذه الغاية، فنجد أبسط مصطلح فيها يخلق قضية عميقة في رحاب النصوص، وهكذا الثنائيات الضدية هي مصطلح واحد ضمن مصطلحات عدة نشأت في المنهج ا لبنيوي لكن الخوض في هذا المصطلح يتطلب بحثا عميقا وتمحيصا في الأعمال الأدبية الشعرية منها والنثرية . [9]

3- ثالثاً :الثنائيات الضدية الموجودة في القصيدة:

تمتاز قصيدة "المواكب" بتواجد العديد من الثنائيات الضدية التي تضفي على القصيدة قوة وجمالاً.

تستخدم هذه الثنائيات الضدية في قصيدة "المواكب" لخلق توازن وتوتر في النص الشعري، وتبرز التضاربات المشاعرية والتناقضات الداخلية في الشخصيات المجسدة في القصيدة. تتيح للقارئ تجربة غنية ومعقدة للمشاعر والأفكار التي تتداخل في القصيدة.

قصيدة "المواكب" تعد مثالًا رائعًا لكيفية استخدام الثنائية الضدية في الشعر لإيصال أعمق الرسائل والمعاني. تتيح للشاعر التعبير عن التناقضات الإنسانية والمشاعر المتضاربة بشكل فني وجمالي، وتساعد في بناء الشخصيات وتطوير النص الشعري بشكل متناغم.

من الممكن الاستشهاد بمقاطع محددة من قصيدة "المواكب" لتوضيح استخدام الثنائية الضدية في الشعر، ويمكن العثور على القصيدة كاملة في مجموعات شعرية لنزار قباني أو عبر الإنترنت.

إن قصيدة "المواكب" تعد إحدى الأعمال الشعرية المميزة التي تستخدم الثنائية الضدية بشكل بارع وتساهم في إثراء الشعر العربي بأفكارها العميقة وتجسيدها الفني.

سنتحدث في هذا المطلب عن بعض أهم الثنائيات الضدية التي ذكرها جبران خليل جبران مع المثال الشعري الذي يجسد هذه الثنائية.

4- المبحث الأول: ثنائية الحياة و الموت:

الثنائية الضدية بين الحياة والموت تشكل أحد الأطر الأساسية في قصيدة "المواكب" لجبران خليل جبران. تتناول القصيدة هذه الثنائية بشكل متعدد الأبعاد، حيث يتم استكشاف المعاني والدلالات المتعلقة بكل منهما.

تصف نازك تسايا قصيدة جبران بقولها: "و المواكب التي أبدعها جبران تعد قطعة جمالية خالصة, و كأنه يرد ان يبعث أفلاطون و سقراط ليصفا الحياة من جديد في ثوب المدينة الفاضلة من خلال فلسفتا دنيا الحياة , و لعل جبران بخياله أراد أن يوجد مجتمعا فاضلا قائما على العدل و الحب و الرحمة و الخلود بعيداً عن أرجاء الحياة و البعد عن الطبيعة في كل الأوقات" [10]

كما انه رأى أنَّ الحياة تمرُّ سريعا كحلم وعلى الانسان ان يعتبرَ من دروسِها وأن لا يعيش ذليلا جاهلا خانعا مُتَّبِعًا خطوات الأوغاد والزناديق كالبقر أو القطعان وأن الربح في النهاية يكون لصاحب الاستقامة الذي ترفع عن الآثام وسار على السراط المستقيم[11].

إن أكثر ما يلفت الانتباه في قصيدة المواكب أبيات الشاعر جبران هو ثنائية الروح والجسد، والبقاء والفناء، والموت والخلود , يقول جبران في المواكب:[12]

و الجسم للروح رحم تسكن به حتى البلوغ فتستعلي و ينغمر

فهي الجنين و ما يوم الحمام سوى عهد المخاض فلا سقط و لا عسر

---

[4] د.صلاح أحمد صالح: مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية(الثنائية الضدية في شعر الحطيئة)جامعة الموصل-ع42-2019م-ص757

[5] مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز –مرجع سابق – ص88

[6] مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز –مرجع سابق – ص378

[7] د.جميل صليبا: المعجم الفلسفي-دار الكتاب اللبناني-ج1- ص 379.

[8] د.سمر الديوب: الثنائيات الضدية (دراسات في الشعر العربي القديم)-دمشق- منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة-2009م-ص5.

[9] سنا زهير بلطه جي :الثنائيات الضدية في شعر عنتر بن شداد، جامعة الوصل ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ص 3.

[10] نازك تسايا يارد ، المواكب دراسة و تحليل، مؤسسة نوفل ،د.ت، ص7.

[11] قراءة في المواكب لحاتم جوعية ، منبر حر للثقافة و الفكر ، يناير ،2024

[12] جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران،ج/2،ص 271.

عبر الشاعر عن العلاقة الروحية بين الجسد والروح. و شبه الشاعر الجسد بمأوى يُحمى فيه الروح وتتوطد فيه حتى فترة البلوغ، وهي فترة نضج الفرد واكتماله كبشر(الحياة) ثم يتحدث الشاعر عن كيفية تطور العلاقة بينهما بعد ذلك، حيث يستعرض ارتفاع الروح وارتقاؤها بمرور الزمن والتجارب(الموت).

دلالات الثنائية الضدية في الأبيات السابقة:

. رحم الجسم للروح يعبر عن العلاقة الحميمة والرحيمة بين الجسد والروح، حيث يُظهر الجسم كمكان يوفر الدفء والحماية للروح.1

. تسكن به تعبر عن الاستقرار والتأقلم الذي يحدث بين الجسد والروح، حيث يتكاملان ويتأقلمان مع بعضهما البعض.2

. الاستعلاء والانغمار يشيران إلى تطور الروح وترقيها مع مرور الزمن، حيث تعمق في التجارب وتكتسب المزيد من الخبرات والحكمة.3

بهذه الطريقة تناول الشاعر أحمد شوقي جماليات العلاقة بين الجسد والروح، وكيفية تطورها وتقدمها بمرور الزمن، ما يعكس تفكيره العميق في مسائل الإنسان والروحانية.

كما تحدث عن الحياة و الموت في مقطع شعري منفصل و أبياته:[13]

و الموت في الأرض لابن الأرض خاتمة	**و للأثيري فهو البدء و الظفر**
فمن يعانق في أحلامه سحرا	**يبق و من نام كل الليل يندثر**
ومن يلازم تربآ حال يقظته	**يعانق الترب حتى تخمد الزهر**
فالموت كالبحر , من خفت عناصره	**يجتازه, و أخو الأثقال ينحدر**

يستخدم الشاعر في هذه الأبيات الصور والمجازات ليعبر عن الثنائية الضدية بين الموت والحياة وما تمثل كل منهما.

في البيت الأول، يصف الشاعر الموت على أنه الختام لإنسانٍ ولد من الأرض، وهذا يعني أن الموت هو النهاية الحتمية لكل مخلوق أرضي. ومن ناحية أخرى، يعطي الشاعر دلالة على الفلسفة الحياتية بالقول إن الموت للأثيري (الروحاني) هو بداية جديدة ونجاح، فهو ليس نهاية بل بداية لحياة جديدة.

ثم يتناول الشاعر في الأبيات السابقة فكرة الحلم والعمل والاستيقاظ من السُبات. حيث قال إن من يتمسك بأحلامه ويعمل على تحقيقها يبقى حيًا وحاضرًا، بينما من يتراخى ويُهمل حلمه ويغفل عن العمل، فإنه يُفقد جزءًا من حياته ويختفي ببطء.

الثنائية الضدية هنا تظهر بين الموت والحياة، النهاية والبداية، الحلم والواقع، الاستيقاظ والنوم. وهذه الثنائية تعكس الطبيعة الدائمة للحياة والموت كجزأين لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض.

بهذا الشكل استخدم الشاعر جبران الأسلوب الأدبي لتوجيه رسالته الفلسفية والإنسانية بأسلوب جميل ومعبر، يعكس تأمله العميق في أسرار الحياة والموت ومعانيهما المتشابكة.

5- المبحث الثاني: ثنائية الخير و الشر :

في قصيدة "المواكب"، يأخذنا الشاعر جبران في تجربة شعرية إنسانية عميقة. يقف الشاعر في مقابلة محورية بين مفهومي الخير والشر، وبين الإرادة وسلب الإرادة. يستمر في مواجهة قوة القدر وهيمنتها القوية. يستخدم الشاعر أسلوبًا فنيًا خاصًا لنقل هذه التجربة، حيث يعتمد على بحرين شعريين لوزن القصيدة، مما يمنحها تنوعًا إيقاعيًا.

تتكون القصيدة من عدة مشاهد حوارية، تعمل على تقليل نسبة الحوار الفكري والنقاش الفلسفي. يتمثل صوتان في القصيدة، وهما صدى النزاع الدائر في نفس جبران، بين الخير الذي فطرت عليه النفس الإنسانية وبين الشر والألم الذي يشاهده الشاعر في الحياة. يتيح هذا الأسلوب للشاعر الانتقال بسلاسة بين فكرة وأخرى، وتوسيع نطاق القول في فكرة واحدة، من خلال استخدام تعابير وتراكيب وتشكيلات لغوية تحمل دلالات حقيقية ومجازية .

باستخدامه للتباين والتشاكل والتناقض، يخلق الشاعر نصين متداخلين داخل نص واحد. يمثل كل نص مجتمعًا مستقلاً، ولكل منهما نغمته وموسيقاه ووزنه الخاص. يعكس هذا الأسلوب الأدبي تنوع وغنى الخبرات الإنسانية المختلفة وتعدد الآراء والمشاهدات في الحياة.

يبدأ الشاعر قصيدته ببيت شعري يتحدث فيه عن الثنائيات الضدية بين الخير و الشر[14]:

[13] جبران خليل جبران ، المرجع السابق ص 273
[14] جبران خليل جبران ، مرجع السابق ،ص 264.

الخير في الناس مصنوعٌ إذا جُبروا والشرُّ في الناس لا يفنى وإن قبروا

يُعدّ هذا البيت نموذجًا رائعًا لفنّ التّضادّ في الشّعر العربيّ. فالشاعر جبران خليل جبران يُقابِل بين الخير والشّرّ، ويوضّح أنّ الخير في الإنسان ليس أصلاً فطريّاً، بل هو نتاجٌ للظروف والقوى الخارجية. بينما الشرّ متأصّل في طبيعة الإنسان، ولا يموت بموت صاحبه.[15]

يُمثّل هذا البيت ثنائيةً ضدّيةً واضحةً بين الخير والشّرّ. فكلمة "مُصنوعٌ" تُشير إلى أنّ الخير ليس فطريّاً، بل هو نتاجٌ لصنعٍ وتكوين. بينما كلمة "لا يفنى" تُؤكّد على أنّ الشرّ متأصّلٌ في طبيعة الإنسان، ولا يزول بموت صاحبه.

ومن دلالات الخير:

الخير صنعٌ وتكوين يدلّ ذلك على أنّ الخير ليس فطريّاً، بل هو نتاجٌ للتربية والتّنشئة والظروف والقوى الخارجية , الخير مرتبطٌ بالقوة و يدلّ ذلك على أنّ الخير لا يُمكن أن يُفرض بالقوة، بل هو نتاجٌ للوعي والإيمان والرّغبة في فعل الخير.

و من دلالات الشر:

الشرّ فطريٌّ و متأصّلٌ في طبيعة الإنسان، ولا يزول بموت صاحبه. و أنّ الشرّ صفةٌ دائمةٌ في الإنسان، ولا يمكن التخلص منها بشكلٍ نهائيّ.

يُقدّم لنا هذا البيت نظرةً فلسفيّةً عميقةً حول الخير والشّرّ في الإنسان. فالشاعر يُؤكّد على أنّ الخير ليس فطريّاً، بل هو نتاجٌ للظروف والقوى الخارجية. بينما الشرّ متأصّلٌ في طبيعة الإنسان، ولا يموت بموت صاحبه.

كما يعزز الشاعر جبران و يثبت فكرة الخير و الشر في النفوس البشرية بانتقائه لكلمات ذات معني و أبعاد تمثل للخير و الشر في الحياة و النفس البشرية [16] :

وأكثر الناس آلاتٌ تحركها أصابع الدهر يوماً ثم تنكسرُ

فلا تقولنَّ هذا عالم علمٌ ولا تقولنَّ ذاك ال

يستخدم جبران خليل جبران في هذا البيت أسلوبًا أدبيًا غنيًا بالصور التشبيهية والاستعارات. فتشبيهُ الناس بالآلات يدلّ على أنّهم لا يملكون إرادةً حرةً، بل هم مُتحكّمون بِقوى خارجية. كما أنّ تشبيهُ أصابع الدهرِ بالقوى التي تُحرّكُ هذه الآلات يدلّ على أنّ هذه القوى قويةٌ لا تُقاوم

لا يُشيرُ هذا البيتُ بشكلٍ مباشرٍ إلى الخيرِ والشّرّ، لكنّه يُمكنُ فهمُهُ على أنّهُ يُعبّرُ عن صراعٍ بين إرادةِ الإنسانِ وقوى خارجيةٍ تُحاولُ السيطرةَ عليه. فإرادةُ الإنسانِ تُمثّلُ الخيرَ، بينما تُمثّلُ القوى الخارجيةُ الشرّ.

دلالات الخير:

إرادةُ الإنسان تمثل الخيرَ، لأنّها تُتيحُ لهُ التّصرفَ بِحرّيةٍ واختيارٍ ما هوَ خيرٌ لهُ ولغيرِه. و يُساعدُه الوعيُ على التمييزِ بين الخيرِ والشّرّ، واختيارِ الخيرِ عن وعيٍ وإدراك.

دلالات الشر :

القوى الخارجية تُمثّلُ الشرّ، لأنّها تُحاولُ السيطرةَ على الإنسانِ ومنعَهُ من التّصرفِ بِحرّية. و يُساعدُ الجهلُ الإنسانَ على الانقيادِ للقوى الخارجيةِ دونَ وعيٍ أو إدراكٍ لما يفعلُه.

يُقدّمُ لنا هذا البيتُ نظرةً فلسفيّةً عميقةً حول صراعِ إرادةِ الإنسانِ مع القوى الخارجيةِ التي تُحاولُ السيطرةَ عليه. فإرادةُ الإنسانِ تُمثّلُ الخيرَ، بينما تُمثّلُ القوى الخارجيةُ الشرّ.

6- المبحث الثالث: ثنائية القوة و الضعف:

تعبّر لوحة أخرى من لوحات جبران ، تنبثق من ثنائية ضدية القوة والضعف، عن تحقيق السيادة والعزة والبهاء ، في حين يرتبط الضعف بالتراجع والخوف والهزيمة .تنسجم معانيها لتروي قصص الشجاعة والبطولة والتحدي . تعطي اللوحة روحًا جديدة للكلمات ، تسافر بعيدًا إلى أعماق الوجدان، حيث تتلاقى الجمالية والإلهام ، لتحاكي الأرواح القوية النابضة بالحياة ،وتدعونا لتجاوز حدودنا وتحقيق أحلامنا بكل جرأة وتفانٍ. فيقول :

"والحق لعزم والأرواح إن قويت سادت و إن ضعفت حلت بها الغير"

[16] جبران خليل جبران ، المرجع السابق ،ص 264.

ففي العرينة ريح ليس يقربه بنو الثعالب غاب هي تحتضر

وفي الزر ازير جبن وهي طائرة وفي البزاة شموخ وهي تحتضر

هذه الأبيات الشعرية تعبر عن فكرة القوة والضعف بشكل مجازي ملفت للانتباه ، تُظهر أهمية القوة والعزم في تحقيق النجاح والسيطرة ، بينما تُظهر أهمية الضعف والجبن كيف يؤديان إلى الهزيمة والاضطراب .

" والحق لعزم الأرواح إن قويت سادت وإن ضعفت حلت بها الغير "

هذا البيت يشير إلى القوة والعزم هما ما يحدد النجاح والتفوق إذا كانت الأرواح قوية وثابتة في عزمها ، فإنها ستسود وتسيطر على الأمور . وعلى العكس ، إذا كانت ضعيفة ، فسوف يأتي الغير ويتولى السيطرة عليها . يُظهر البيت أهمية القوة الداخلية والإرادة في تحقيق النجاح والتميز .

"ففي العرينة ريح ليس يقربه. بنو الثعالب غاب الأسد أم حضروا"

هذا البيت يُظهر مجازيًا الفارق بين القوة والضعف . يُقارن الشاعر بين الأسد وبني الثعالب ، حيث يُظهر أن الأسد يمتلك القوة والسلطة ويسيطر على الأمور في غابة . أما بنو الثعالب ، فهم ضعفاء ولا يمتلكون القوة ، لذا لا يستطيعون التقرب من العرينة. يُظهر البيت أن القوة تجلب السيطرة والاحترام ، بينما الضعف يجلب الازدراء والتجاهل .

"وفي الزر ا زير جبن وهي طائرة وفي البزاة شموخ وهي تحتضر"

هنا يُشير الشاعر إلى مثاليين آخرين للقوة والضعف .يقارن بين الزر ازير والبزاة، حيث تُظهر الزر ازير الجبانة وهي طائرة، في حين تظهر البزاة بشموخ وهي على وشك الموت. يُظهر البيت أن القوة والشموخ يمكن أن تظل حتى في الظروف الصعبة وحتى وقت الاضطراب.

ذكر الشاعر في العزم والإرادة في أبيات أخرى مركزًا على أهمية العزيمة في تحقيق النجاح والتفوق. يرى الشاعر أن العزم له قيمة لا يمكن إنكارها، سواء في الروح أو في الأعمال التي تنبعث عنها العزم والإصرار فيقول :

و العزم في الروح حقٌ ليس ينكره عزم السواعد شاء الناس أم نكروا

يبرز هذا البيت ثنائية القوة والضعف بشكل جذاب وملموس، حيث يُظهر الشاعر القوة الروحية والشخصية في العزم، بينما يُظهر التفاعل المختلف للناس مع هذا العزم كيفية تعامل المجتمع مع القوة والضعف.

ففي الشطر الأول يتحدث أن العزم والإرادة هما صفات أساسية في الروح الإنسانية، وهما يمثلان جوهر الشخصية والهوية. يصف الشاعر العزم بأنه "حقٌ ليس ينكره"، مما يعني أنه شيء لا يمكن إنكاره أو إلغاؤه، بل هو جزء أساسي ومُحكم في طبيعة الإنسان.

أما الشطر الثاني "عزم السواعد شاء الناس أم نكروا"، يوضح الشاعر أهمية العزم في الأعمال والمشاريع. يقول إن السواعد، أي الأذرع أو القوى البدنية، يقوم بها الناس بالأعمال والمبادرات، سواء قبلوا هذا العزم ودعموه أو رفضوه ونكروه. هنا يُظهر الشاعر التفاعل المختلف الذي قد يواجه العزم من الآخرين، حيث يمكن أن يكون هناك تقدير ودعم، أو رفض ومعارضة.

تتجلى ثنائية القوة والضعف في هذه الأبيات بوضوح، حيث يُظهر الشاعر القوة في العزم والإرادة، والتي تمثل قوة الروح والشخصية. يعتبر الشاعر العزم "حقًا" لا يمكن إنكاره، مما يظهر قوته وجاذبيته في المجتمع.

أما الضعف فيتجلى في تفاعل الناس مع العزم، حيث يمكن أن يتجلى الضعف في رفض العزم أو نكرانه من قِبَل الآخرين، مما يظهر الحجر والمعاناة التي قد يو الشخص الذي يحمل عزمًا قويا .

7- المبحث الرابع: ثنائية الحرية و العبودية:

عبر الشاعر جبران في المواكب عن ثنائية ضدية طرفاها الحرية و العبودية و تبدو فاعلية التضاد هنا في نسجه للصراع و التوتر،المعتمل في نفس جبران الطليقة، التي تتمرد على القيود و تطمح في العتق من كل قيد[17] . و عبر الشاعر عن يعبر عن فكرة الحرية والعبودية بطريقة مجازية فقال :[18]

و الحر في الأرض يبني من منازعه سجناً له و هو لايدري فيؤسر

[17] د. أمال إبراهيم مصطفى:جماليات التضاد في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران ،مجلة كلية الأداب جامعة بور سعيد،العدد الحادي عشر، 2018م،ص754

[18] جبران خليل جبران: الموسعة الكاملة لمؤلفات جبران , ج /2 , ص251

فإن تحرر من أبناء بجدته يظل عبداً لمن يهوى و يفتكر

يُشير الشاعر إلى فكرة أن الإنسان يقوم بتحديث القيود والقوانين والتقاليد التي قد تكون عوائق أمام حريته. يعبر عن ذلك بالقول بأن الحر يقوم ببناء السجن لنفسه بدون أن يشعر بذلك، مما يعني أن الشخص قد يقوم بتضييق دائرة حريته دون أن يكون مدركاً لذلك.

كما يُظهر الشاعر أن الإنسان قد يعتقد أنه حر بمجرد أن يتحرر من القيود الظاهرية مثل القوانين أو القيود الاجتماعية، ولكن في الواقع يمكن أن يظل رهينة لشهواته وتصرفاته، مما يجعله عبدًا لشهواته وأفكاره التي قد تحصره وتُجبره على الفعل أو تمنعه عنه.

يعتبر البيت مدرسة في فهم مفهوم الحرية والعبودية، وكيف يمكن أن تتجلى هذه الفكرتان بطرق متعددة ومتشابكة في حياة الإنسان لاحتوائه على العديد من الدلالات الشعرية:

الوعي والجهل: البيت يشير إلى أهمية الوعي بالحالة الذاتية للإنسان. فالحر قد يكون جاهلًا بأنه يقوم بتقييد حريته عندما ينشئ القيود والسجون لنفسه دون تدري.

-التحرر و الالتباس: يُظهر البيت أن التحرر الحقيقي لا يكون فقط بالتخلص من القيود الخارجية ولكن يجب أن يكون مصحوباً بالتحرر من القيود الداخلية أيضاً، مثل الشهوات والأهواء.

و يعود الشاعر جبران إلى أحضان الطبيعة ليتحدث عن الثنائية الضدية (الحرية و العبودية) في أحضان الطبيعة و في حياة الغاب " إن الغاب هو المكان الوحيد الذي تتجلى فيه الحياة الطبيعية بمناظرها المختلفة من أشجار مرتفعة في الفضاء , لا يعوقها شي , و حيوانات هائمة لا تصل إليها سطوة البشر"[19] فيقول :[20]

ليس في الغابات حر لا و لا العبد الذميم

فإذا ما اللوز ألقى زهره فوق الهشيم

لم يقل هذا حقير و أنا المولى الكريم

تناولت هذه الأبيات موضوع الحرية والعبودية بطريقة جميلة ومفعمة بالرمزية والتشبيهات دمج فيها الشاعر بساطة اللغة مع عمق المعنى، يُطرح أمامنا مشهدٌ يشبه حكاية أدبية حيث أشار إلى أن حتى في بيئة الطبيعة البريئة، لا يمكن العثور على الحرية الحقيقية. ثم يقدم التشبيه الجميل بين اللوز وزهره فوق الهشيم، يرمز بذلك إلى الجمال والنقاء الذي يمكن أن يظهر من بين الظروف القاسية والجافة.

لكنه في السطر الثاني ينقلب المفهوم تمامًا. الشاعر يُظهر أن حقارة الظروف أو العبودية الظاهرة لا تعكس القيمة الحقيقية للإنسان. بل، حتى في أقسى الظروف، يمكن للجمال والكرم أن ينبثقا، وهو يعبر بذلك عن الحرية الداخلية التي لا يمكن أن تُنكر حتى في وجود القيود الخارجية.

بالتالي، تتجلى الثنائية بين الحرية والعبودية في هذه الأبيات بشكل مثير للتأمل، حيث يُظهر الشاعر أن الحرية الحقيقية لا تتوقف عند القيود الظاهرية، بل هي حالة داخلية يمكن أن تتجلى في أصعب الظروف، بينما العبودية قد تكون مجرد تصور خاطئ يمكن تحويله بواسطة الإرادة والكرم.

ثم ينتقل فينا جبران الى فلسفة الحرية و العبودية بأسلوب شعري مميز بأبيات تتمتع بلغة راقية و بسيطة بالوقت ذاته :[21]

أعطني الناي و غنّ فالغنا مجدٌ أثيلْ

و أنين الناي أبقى من رنيم و جليلْ

في البيت الأول يُظهر الشاعر أن الغناء والفن يمثلان حرية الروح والتعبير، وهما وسيلة للتحرر من القيود الداخلية والخارجية.

أما البيت الثاني فيشير الشاعر إلى أن صوت الناي وأنينه يبقى في الذاكرة أكثر من أي كلمات جميلة أو غناء. هذا الانين يرمز إلى الحنين والعمق الروحي الذي يتركه الفن والتعبير الصادق في النفس. يعبر الشاعر هنا عن القوة الدائمة للفن والتعبير عن الذات في تحقيق الحرية الروحية والعاطفية.

دلالات الحرية والعبودية تتجلى كما يلي:

[19] نادرة جميل السراج: شعراء الرابطة القلمية ، دراسات في شعر المهجر، دار المعارف، ط1989/3، ص 149.
[20] جبران خليل جبران: الموسعة الكاملة لمؤلفات جبران ، ج /2 ، ص252
[21] جبران خليل جبران: الموسعة الكاملة لمؤلفات جبران ،ج /2 ،ص252

- الحرية في الفن: يرى الشاعر أن الفن والتعبير عن الذات يمثلان حرية الروح والتحرر من القيود الروحية والعاطفية. يمكن للفن أن يكون وسيلة للتعبير عن الذات وتحقيق الحرية الفكرية والإبداعية.

- العبودية في الحنين والأنين: يظهر الشاعر أن العبودية تكمن في الاحتجاز والرهان بين الحنين والأنين، وهي قيود الذاكرة والعاطفة التي قد تحتجز الإنسان وتعيق حريته وتطمسها.

تلك الأبيات تستعرض أهمية الفن والتعبير في تحقيق الحرية الروحية والإبداعية، بينما تُظهر العبودية في الاحتجاز والرهان بين أوصال الذاكرة والأنين العميق.

8- المبحث الخامس: ثنائية الرضا و السخط:

يستعرض جبران في أبيات شعرية ضمن قصيدة المواكب واقعية المجتمع وتحولاته بشكل مجازي، مع التركيز على العواقب السلبية لهذه التحولات فيقول :[22]

وقل في الأرض من يرضى الحياة كما تأتيه عفواً و لم يحكم به الضجر

لذاك قد حولو نهر الحياة إلى أكواب و هم إذا طافوا بها خدروا

فالناس إن شربوا سروا كأنهم رهن الهوى و على التخدير قد فطروا

في البيت الأول : يُظهر الشاعر تغير الإنسان وسلوكه نتيجة تحول الحياة إلى شيء سطحي ومادي. يُقارن النهر، الذي يُعتبر رمزًا للحياة والتجدد والحركة، بأكواب. وهذا التحول يُظهر كيف تم تجريد الحياة من قيمتها الروحية والعميقة، وتحويلها إلى أشياء مادية وعابرة. وعندما يطاف بتلك الأكواب، يُشبه الأشخاص الذين يسبحون فيها بالمخدرين، مما يعني أنهم يغرقون في السطحية والتفاهة، ولا يدركون الحقيقة أو يتأملون في معاني الحياة.

كما يواصل الشاعر تصوير الواقعية السلبية للمجتمع، حيث يشير إلى أن الناس عندما يشربون من تلك الأكواب المتحولة، يبدو وكأنهم مغيّرون ومخدرون، وهو مجاز يعبر عن غياب الوعي والتفكير العميق. الشخص يصبح رهينًا لشهواته ورغباته السطحية، وكأنه مخدور أو مخنوق بالتخدير، لا يستطيع التمييز بين الحق والباطل أو الحقيقة والسطحية.

الثنائيات الضدية الموجودة في البيت :

- الرضا والسخط : حيث تحدثت الأبيات السابقة عن سخط الشاعر من التحولات السلبية التي طرأت على المجتمع، حيث تحولت الحياة إلى شيء سطحي ومادي، وفقدت قيمتها الروحية والعميقة. ومن الواضح أن هذا التحول يثير سخطًا في نفوس البشر الذين يدركون تلك الواقعية السلبية.

و هذه الأبيات تصور الواقع الذي يحياه جبران, حيث شيوع السخط و عدم الرضا بما تجود به الحياة. و تأتي الثنائية الضدية (يرضى / يضجر) لتكثف رؤيته,, و هي من النوع اللغوي التضافري الذي يأتي بين الأسماء و الأفعال، حيث يسهم هذا النوع في " خلق الثبات و الاستقرار و الديمومة ، و الفعل الذي يفجر الحركات المتتالية و الأحداث المتتابعة و اللحظات المتجددة".[23] يقول جبران :[24]

فذا يعربد إن صلى و ذاك إذا أثرى و ذلك بالأحلام يختمر

فالأرض خمارةٌ و الدهر صاحبها و ليس يرضى بها غير الألى سكروا

فإن رأيت أخا صحو فقل عجباً هل استظل بغيمٍ ممطر قمر

يقدم الشاعر صورة متناقضة للبشر وسلوكهم، إذ يشير إلى أن بعضهم يظهر العنف والعدوانية حتى وإن كانوا يمارسون الصلاة، في حين يتجسد الجشع والطمع في آخرين حتى وإن كانوا متدينين. يربط الشاعر هذا السلوك المتناقض بالأحلام، الرغبات الشخصية والطموحات التي قد تغطي الواقع وتجعل الناس يتصرفون بشكل متناقض.

يستخدم الشاعر صورة قوية لوصف الحياة بأنها "خمارة" في البيت الثاني، أي أنها مليئة بالصعوبات والمصاعب. وعلى الرغم من ذلك، يعبر عن أن الرضا والسعادة يمكن أن يكونا ممكنين، حتى في ظل هذه الظروف الصعبة، لأولئك الذين يستطيعون قبول الحياة كما هي دون تسلط عليها بالتوقعات والطموحات الزائدة .

[22] جبران خليل جبران : المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ، ج /2 ، ص 243.
[23] عصام شرتح: ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق، 2005 ،ص65.
[24] جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ،ج / 2 ،ص 243.

و البيت الثالث يعكس فكرة تحول المفاهيم المعتادة، حيث يعبر الشاعر عن العجب من رؤية شخص يبدو سعيدًا وهو يعيش في ظروف قاسية. يشبه القمر الذي يستظل بسحابة ممطرة، وهو مشهد نادر الحدوث ومميز إلى الشخص الذي يعيش بحالة من الرضا رغم قساوة الظروف و هذا التشبيه إلى الأمل والسعادة التي يمكن أن تجدها الأرواح الصافية والمتفائلة حتى في أصعب الظروف.

9- المبحث السادس: ثنائية العدل و الظلم:

قد جبران في المواكب نظرة عميقة إلى مفهوم العدالة والظلم في المجتمع، وتناول مواضيع الأخلاق والقيم الإنسانية بطريقة تعبر عن تجارب ومشاهدات وجهات نظر متعددة. أظهر الثنائية الضدية (العدالة والظلم،) وكيف تؤثر في حياة البشر بتطبيق العدالة أو الظلم في المجتمع, فيقول :[25]

و العدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا به و يستضحك الأموات لو نظروا

فالسجن و الموت للجانين إن صغروا و المجد و الفخر و الإثراء إن كبروا

فسارق الزهر مذموم محتقر و سارق الحقل يدعى الباسل الخطر

و قاتل الجسم مقتول بفعلته و قاتل الرح لا تدري به البشر

بدايةً، أشار جبران إلى أهمية العدالة في تحقيق النظام والاستقرار، حيث يبدي انعكاسات إيجابية للعدالة من خلال رؤية الجن والأموات الذين يبكون ويضحكون بتناسق وتوازن يعكس ثقته في قوة العدالة لتحقيق العدل والمساواة.

ثم أكمل مستعرضاً العواقب المختلفة للتصرفات والأفعال، حيث يواجه الجانيون عقوبة السجن والموت حتى في حالة صغر الجريمة، مقابل الإكرام والإثراء للأفراد الذين يسعون للنمو والتطور في الحياة بشكل شريف ومستقيم.

دلالات الظلم والعدل تظهر بوضوح في هذه الأبيات، حيث تناول الشاعر مفهومي الظلم والعدل من خلال تباين مصير الأفراد الذين يعيشون حياة الجريمة والفساد مقارنة بالأفراد الذين يتبنون الأخلاق الحميدة ويعيشون حياة النزاهة والاستقامة. و يُظهر أن الظلم يؤدي إلى الانحراف والهلاك، بينما العدل يؤدي إلى الازدهار والرخاء، ويعكس ذلك القيم والمبادئ الأخلاقية التي ينبغي على المجتمع تبنيها لتحقيق التقدم والتنمية.

و يختتم جبران لوحته بثنائية و هي الأجمل في المواكب (قاتل الروح) و (قاتل الجسد) لتؤكد موقف المجتمع ممن فقد المهارة في إخفاء الجريمة، و ممن هو متمرس بذلك.[26]حيث إن الأول مقتول لا محال ، أما الآخر فهو حر يصول و يجول دون رقيب أو رادع. إن المقابلة حاكت المعاناة النفسية التي يعيشها جبران حين يتحول الدل إلى ظلم مهين.[27]

10- المبحث السابع: ثنائية الفرح و الحزن:

إن بنية التضاد بما تخلقه من علاقات ين العناصر المتقابلة أسهمت في تجسيد رؤية جبران و فلسفته، و ما كان لها أن تحقق ذلك لو لم تتداع في توالٍ لغوي .[28]

و يطالعنا جبران بتأملاته الفلسفية في لوحة أدبية من عدة أبيات , تحكمها الثنائية (الفرح / الحزن) ،و يكشف فيها ما عن روحه القلقة الباحثة عن سر الراحة و الخلود, و يقرر أنهما يستقران في سمو النفس و عدم استجابتها لما يفقدها توازنها،ألا وهو الاستجابة للأحزان و الأفراح.[29]

يقول جبران :[30]

وما الحياة سوى نوم تراوده أحلام من بمراد النفس يأتمر

و السر في النفس حزن النفس يستره فإن تولى فبالأفراح يستنر

يبدأ الشاعر بوصف الحياة بأنها مجرد نوم، حيث يأتي الإنسان في هذه الحياة وكأنه في حالة نوم، يُغمض عينيه ويعيش في عالم من الأحلام. وهذه الأحلام، التي يستنبطها الإنسان من رغبات نفسه ومرادها، تعتبر هي الدافع الأساسي لحياته وتصرفاته.

[25]جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران،ج / 2 ، ص 247.

[26] د. أمال إبراهيم مصطفى: جماليات التضاد في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران، مجلة كلية الأداب جامعة بور سعيد، العدد الحادي عشر، 2018م ، ص747

[27] عبد الله أحمد الوترات: أسلوب المقابلة و التضاد في شعر الرقيات (دراسة تطبيقية)، المجلة العلمية لكلية التربية ، جامعة مصراته، ليبيا، س 2 ، ع3، يونيو 2015، ص 267.

[28] صلاح فضل: علم الأسلوب و مبادئه و إجراءاته، دار الشروق ، ط 1 ,1998 ،ص 225

[29] د. أمال إبراهيم مصطفى:جماليات التضاد في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران،مجلة كلية الأداب جامعة بور سعيد، العدد الحادي عشر، 2018م،ص742

[30] جبران خليل جبران : المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ، ج /2 ، ص240

ثم يُشير الشاعر إلى أن السر الحقيقي للإنسان يكمن في داخله، في عمق نفسه ومشاعره الداخلية. فهو يكتشف أن حزن نفسه، وما يحمله من هموم وأحزان، يُخفيه ويُسره داخله بعيدًا عن أعين الآخرين. وهذا السر، الذي يحمله كل فرد في داخله، هو ما يعطي الحياة طابعها الخاص ومعانيها العميقة.

وفي البيت الثاني يُشير الشاعر إلى أنه عندما يتوجه الإنسان إلى الفرح والسرور، فإنه يستنير ويتوهج بالسعادة والهناء. وهذا يُظهر لنا أن الحياة تتألق بالفرح والسرور عندما يتحول الإنسان إلى مصدر للإشراق والسعادة لنفسه وللآخرين.

هذا البيت يجسد عمق فكر الشاعر وتأملاته في جوانب الحياة الباطنية والتي تدور حول الحزن والفرح والأحلام، ما يعكس رؤية شوقي الفلسفية في مفهوم الحياة ومعانيها المتعددة والمعقدة.

كما أكد الشاعر في البيت التالي على أن الحياة تخفي أسرارها، فإذا تجاوز الإنسان الصعاب يكتشف النور والحقيقة :[31]

و السر في العيش رغد العيش يحجبه فإن أزيل تولى حجبه الكدر

فإن ترفعت عن رغد و عن كدر جاوزت ظل الذي حارت به الفكر

في أعماق هذا البيت الشعري يروي الشاعر قصة الحياة بأبهى الألوان وأصعب التحديات. الشاعر يصوّر الحياة كـ "رغد العيش"، حيث تشعر النفس بالسكينة والسرور، ولكن يظل السر محجوباً بظلال "الكدر"، الهموم والتحديات التي تحجب الفرح الحقيقي.

و بمهارة شعرية، يربط الشاعر بين "رغد العيش" وظلال "الكدر"، ليظهر التناقض الذي يحكم الحياة. فالفرح والحزن يمتزجان في خيوط الوجود، حيث يعيش الإنسان بين لحظات البهجة ولحظات الهم والكآبة .

وعندما يُزيل الإنسان "حجاب الكدر"، يستشعر جمال "رغد العيش" بكل تفاصيله، ويتحرر من ظلال الحزن واليأس. هنا، تتجلى دلالة الفرح بمجيئه بعد فترة من الحزن والصعوبات، كما تظهر دلالة الحزن كواقع لا يمكن تجنبه والذي يجعل الفرح يتألق بمزيد من الوهج.

ومن خلال هذه الدلالات، يرسم الشاعر صورة حية لمشهد الحياة، حيث يبدو الفرح والحزن كجوانب لا يمكن فصلها عن بعضها، ولكنها تشكل مقومات النضج والتأمل والنجاح في رحلة الحياة.

11- المبحث الثامن : الثنائية الضدية(العلم و الجهل) :

تعتبر قضايا العلم والجهل من الثنائيات الضدية المهمة والشائعة في الشعر الجبراني، حيث يتناول جبران خليل جبران في قصائده العديد من المفاهيم الفلسفية والروحانية التي تتعلق بالعلم والجهل. تعتبر هذه القضايا مصدر إلهام للشاعر لتفسير حالات البشر وتأملاتهم في مسيرة الحياة.

في قصيدة المواكب أكدّ جبران خلو الطبيعة من المتناقضات فلا علم و لا جهل ، و تأتي الثنائية الضدية (علم / جهول) لتؤيد رؤيته ، حيث يتوسل فيها بصيغة المبالغة (جهول)، إمعاناً منه في نفي ما يؤرقه في المجتمع ألا و هو الجهل. و إذا كان إهمال قدر العلم و أهله يؤرق جبران و يثير سخريته من بني مجتمعه ، فإنه يمحو وجوده تماما من حياة الغاب ، و كأنه أراد التخلي عن كل ما يجلب الصراع النفسي،[32] فيقول :[33]

ليس في الغابات علم لا ولا فيها الجهول

فإذا الغصان مالت لم تقل هذا الجليل

إن علم الناس طراً كضباب في الحقول

فإذا الشمس أطلت من ورا الأفق يزول

يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن تباين بين العلم والجهل، وكيف يؤثر كل منهما على رؤية الأشياء وفهمها.

ففي البيت الأول وضح جبران أن لا علم ولا جهل في الغابات، وهو يعني بذلك أن الغابات لا تمتلك القدرة على التفكير أو الفهم، فهي مجرد مكان طبيعي. يستخدم الشاعر هذا المثال لتبيان أن العلم والجهل هما خصائص تنطوي على الوعي والفهم البشري.

[31] جبران خليل جبران : المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ، ج /2 ، ص240

[32] د. أمال إبراهيم مصطفى:جماليات التضاد في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران، مجلة كلية الأداب جامعة بور سعيد ، العدد الحادي عشر، 2018م،ص753

[33] جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ، ج /2 ، ص 251 .

كذلك يعبر جبران عن كيفية تأثير العلم والجهل على تفسير الأحداث. ووصف الجهل بانحناء الأغصان تحت وزن الثقل، و الذي يمنع الإنسان من فهم الأمور بطريقة صحيحة، وبالتالي يعتبر ذلك الواقع العظيم لا معنى له أو لا يتم تقديره بشكل صحيح.

دلالات العلم والجهل:

- يُظهر الشاعر أن العلم يمكن أن يمنح الإنسان فهمًا أعمق وأفضل للأمور، ويجعله يرى الأحداث بوضوح ويفسرها بطريقة صحيحة.

- أما الجهل يمكن أن يحول الأمور العظيمة والمهمة إلى شيء لا معنى له، ويمنع الإنسان من فهم الواقع بطريقة صحيحة، مما يؤدي إلى انخفاض قيمة الأمور العظيمة في نظره.

ويختم جبران :[34]

اعطني الناي و غن فالغنا خير العلوم

و أنين الناي يبقى بعد أن تطفأ النجوم

يظهر جبران في هذه الأبيات القيمة العظيمة للعلم و يصف الغناء بأنه " خير العلوم" و يدل بذلك على التأثير العميق للغناء في النفس و تنمية الروح و العقل, هذا يُظهر أن الفن والموسيقى قد يكونان وسيلة للتعبير والتفاعل مع العالم بشكل عميق ومعمّق.

ثم يُظهر الشاعر مدى البقاء والثبات لأثر الناي وصوته، حيث يبقى "أنين الناي" وتأثيره مستمرًا حتى بعد أن تختفي النجوم، وهذا يعكس عمق تأثير الفن والموسيقى وقدرتها على البقاء والتأثير في القلوب والعقول حتى بعد مرور الزمن وتغير الظروف.

دلالات الثنائية الضدية (العلم والجهل) :

- العلم ليس مقتصرًا فقط على المعرفة العلمية والتعليمية، بل يمتد أيضًا ليشمل المعرفة الفنية والثقافية والروحية. يرى الشاعر أن فن الغناء والتعبير عن النفس من خلال الناي يُعتبر علمًا في حد ذاته، إذ يساهم في تعزيز الوعي والتأمل وتعميق الفهم للعالم والذات .

- بالنظر إلى طلب الشاعر للناي والغناء ووصفه بأنه "خير العلوم"، يمكن اعتبار ذلك رفضًا للجهل والقيمة الضئيلة للجهل في وجه قيمة المعرفة والفن. تظهر هنا ثنائية العلم والجهل، حيث يقدم الشاعر الفن والموسيقى كوسيلة للتعلم والتعبير والتأمل، مقابل الجهل وضحاياه التي قد تفتقر إلى هذا الفهم والتواصل العميق مع العالم.

12- الخاتمة:

في ختام هذا التحليل الشعري، نجد أن الشاعر قد ألقى الضوء على مفهوم الثنائية الضدية (العدالة والظلم) و (الخير و الشر) و (الحياة و الموت) و غيرها من الثنائيات بشكل متقن وعميق، ورسم صورة واقعية لتأثيرها على الحياة البشرية. من خلال تصويره لتباين في رسم الصور المتضادة على طول القصيدة" المواكب" مما يجعلها لوحة فنية غاية في الجمال و الروعة .

13- النتائج :

في قصيدة "المواكب" لجبران خليل جبران، تتجلى ثنائية الضدية بشكل واضح وقوي و منها:

1. الحياة والموت : يتناول الشاعر في قصيدته رحلة الحياة المليئة بالتناقضات ، حيث يتراوح الإنسان بين لحظات الزاهية وألم الموت الحتمي الذي ينتظره في النهاية .
2. القوة والضعف : يصور الشاعر الازدواجية في طبيعة البشر ، فنحن نتناوب بين فترات القوة والثقة في الذات وفترات الضعف والتردد في مواجهة التحديات المختلفة .
3. الرضا والسخط : تعكس القصيدة الصراع الداخلي للإنسان بين القبول والاحتجاج ، حيث يسعى لقبول ما هو مكتوب وفي الوقت نفسه يشعر بالغضب والغضب تجاه الظروف التي يعيشها .
4. الحرية والعبودية : تطرح القصيدة موضوع الحرية والتحررمن القيود والقهر ، حيث يتوق الإنسان لتحقيق حريته الشخصية والتخلص من أي أشكال من أشكال العبودية التي تحّده.
5. الفرح والحزن : تستكشف القصيدة التناقض بين الفرح والحزن والتعايش بين الابتهاج بالأوقات الجميلة والحنين والألم في الأوقات الصعبة والمحزنة .
6. العلم والجهل : تؤكد القصيدة على أهمية البحث عن المعرفة والتعلم لتحقيق التقدم والتطور الشخصي والاجتماعي ، بينما يُظهر الجهل العواقب السلبية والتقيد بآفاق ضيقة .
7. الخير والشر : تعكس القصيدة الصراع الدائم بين الخير والشر في العالم ، حيث يتقاتلان للسيطرة ويتنافسان في تأثرها على حياة البشر ومصائرهم.
8. العدالة والظلم : تتناول القصيدة موضوع العدالة والظلم ، حيث يتصارع الخير والشر في سعيهما للهيمنة . يُمثل المنقذ العدالة والعدل ، بينما يرمز المستبد إلى الظلم والاستغلال .

[34] جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، ج /2 ، ص 251.

تتضح هذه الضدية في وصف الأفعال والسلوكيات التي تبرز العدل وتكشف الظلم .

. التضحية والانتقام: تُعَبِّر القصيدة عن ثنائية التضحية والانتقام. يتمثل الخير في تضحية المنقذ والتضحية من أجل الحق والعدالة، بينما يمثل 3 الشر الانتقام والرغبة في الإيذاء. تتجلى هذه الضدية في المواجهات والصراعات بين الشخصيات المختلفة وفي رغبة المنقذ في القضاء على الظلم.

المراجع :

1) د.إبراهيم العوض: النقد العربي الحديث- القاهرة-مكتبة زهراء الشرق-2003م-ص217
2) د. أمال إبراهيم مصطفى:جماليات التضاد في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران،مجلة كلية الأداب جامعة بور سعيد ،العدد الحادي عشر، 2018م،ص754
3) أسس تشكيل المعنى الشعري في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران،مجلة سبها للعلوم الإنسانية،2018،م 256،ص18-
4) د.جميل صليبا: المعجم الفلسفي-دار الكتاب اللبناني-ج1- ص 379.
5) جبران خليل جبران, المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران،ج/2، ص 271: لسان العرب- القاهرة – دارالمعارف- مادة ن ه ج – ص 4554
6) جبران خليل جبران: الموسعة الكاملة لمؤلفات جبران ،ج /2 ، ص251
7) سنا زهير بلطه جي :الثنائيات الضدية في شعر عنتر بن شداد، الامارات العربية المتحدة، المجلة الدولية الدراسات اللغة العربية و أدابها ، العدد 5(1) : ص-3.
8) د.سمر الديوب: الثنائيات الضدية (دراسات في الشعر العربي القديم)-دمشق- منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة-2009م-ص5.
9) د. صلاح أحمد صالح: مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية(الثنائية الضدية في شعر الحطيئة)جامعة الموصل-ع42-2019م-ص757
10) صلاح فضل: علم الأسلوب و مبادئه و إجراءاته، دار الشروق ، ط 1 ,1998 ، ص 225
11) عصام شرتح: ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ,2005 ، ص65 .
12) . عبد الله أحمد الوترات: أسلوب المقابلة و التضاد في شعر الرقيات (دراسة تطبيقية)،المجلة العلمية لكلية التربية ، جامعة مصراته، ليبيا، س 2 ،ع3، يونيو 2015 ، ص 267.
13) قراءة في المواكب لحاتم جوعية، منبر حر للثقافة و الفكر ، يناير،2024
14) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز – القاهرة – دار التحرير للطبع والنشر – 1989م -ص636 .
15) ابن منظور : لسان العرب – القاهرة – دار المعارف -مادة ن ه ج -ص 4554.
16) نازك تسايا يارد ، المواكب دراسة و تحليل ، مؤسسة نوفل ،د.ت، ص7.
17) نادرة جميل السراج: شعراء الرابطة القلمية ، دراسات في شعر المهجر، دار المعارف، ط1989/3،ص 149.